على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم الدينية لا بالملك وسعة المال حتى انه تعالى لم يؤت من فضائل داود ما سوى ما شرفه به من ايتائه الزبور قوله قيل هو اى قوله تعالى ولقد فضلنا الاية اشارة الى تفضيل رسول الله صلعم يعني ان المراد بالبعض البعض المعهود وان قوله واتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله عم ووجه دلالته عليه انه تعالى عطف واتينا داود زبورا على قوله فضلنا ولما لم يكن وجه تفضيل ذلك البعض المعهود مبينا وذكر هذا المعطوف في مقام تبيينه وكان الزبور مشتملا على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم فان ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون والمراد بهم نبينا صلعم وامته كان عطفه عليه تنبيها على وجه تفضيله قوله وتنكيره ههنا يعني ان الزبور علم لكتاب داود فكيف عرف تارة ونكر اخرى والتعريف العلمي يغني عن التعريف اللامي واجاب عنه اولا بانه ليس من الاعلام المنقولة فانه منقول عن اسم صفة كحاتم وعباس او عن اسم معنى كفضل في الاصل فعول بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر كقبول وبعدما نقل الى العلمية جاز تعريفه تلميحا واشارة الى اصله وجاز تنكيره اعتبارا للعلمية كعباس والعباس وفضل وثانيا بانه ليس كالاعلام بل هو اسم جنس بمعنى المزبور وهو المكتوب فاذا اريد به المعهود المعين يحتاج الى تعريفه باللام كما في قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر وان اريد به فرد من جنس المزبور عظيم الشان كامل في كونه كتابا يستعمل نكرة كما في قوله تعالى واتينا زبورا وكذا ان اريد قطعة من قطع الزبور المعهود بان يكون اسما مشتركا بين الكل والبعض فكما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه كما يطلق على بعض القران فلما قصد به فرد مما يصدق عليه زبور بمعنى قطعة من الزبور نكر كما في قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قوله انها الهة اشارة الى ان كل واحد من مفعولي زعمتم محذوف لدلالة المقام عليه اى زعمتموهم الهة او زعمتم انها الهة قوله كالملائكة والمسيح وعزير لم يذكر الاصنام لانه تعالى قال في صفتهم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يليق بالاصنام البتة فينبغي ان تكون الاية نازلة في قوم عبدوا الملائكة من المشركين زاعمين انه ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى وهم الملائكة فاتخذوا الملك الذي عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الاية احتجاجا على بطلان قولهم ووجه الاحتجاج ان الاله المعبود القادر على ازالة الضر وايصال النفع والاشياء التي يعبدونها لا يقدرون

لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع وغاية شان الملائكة انهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فوجب القطع بان شيئا منها ليس باله وروى عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم د في الوسيط قال المفسرون ان المشركين من قريش واهل مكة اصابهم قحط شديد سبع سنين حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستعانوا برسول الله صلعم ليدعو لهم فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى قل للمشركين ادعوا الذين ادعيتم انها الهة من دون الله قوله اولئك الالهة يبتغون اشارة الى ان اولئك مبتدا و اشير به الى الذين زعمتم انهم الهة من دون الله وقوله الذين يدعون صفة المبتدا وفاعل يدعون ضمير المشركين وعائد الصلة محذوف والمعنى اولئك الالهة الذين يدعوهم المشركون لكشف ضرهم او يدعونهم الهة فمفعولاها او مفعولاه محذوفان ويبتغون خبر المبتدا والوسيلة القربة وايهم موصولة بمعنى الذي حذف صدر صلتها وهي بدل من الضمير في يدعون والتقدير ما ذكره بقوله يبتغي من هو اقرب الى الله الوسيلة اى التقرب الى الله تعالى فكيف بغير الاقرب قوله بالموت والاستيصال فان الهلاك قد يستعمل في الموت كقوله تعالى ان امرؤ هلك اى مات عن قتادة انه قال هذا قضاء من الله تعالى كما تسمعه ليس منه بد اما ان يهلكها بالموت كقوله كل نفس ذائقة الموت او يهلكها بعذاب مستاصل اذا تركوا امره وكذبوا رسله حمل الاهلاك على الاماتة من غير تسليط احد على الميت والتعذيب الشديد على الاهلاك بعذاب الاستيصال وقال الزجاج ما من اهل الا ويستهلك اما بموت واما بعذاب يستاصلهم وقال مقاتل اما الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وهذه كلمات متقاربة سكت المص عنها لانه تعالى جعل التعذيب قسيما للاهلاك فلا بد ان يكون ادنى حالا من الاهلاك فلا وجه لحمله على عذاب الاستيصال بخلاف قتل الرؤساء واصابة انواع البلاء فانه ادنى حالا من الاهلاك والله اعلم لما قال تعالى في الاية المتقدمة ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها لا بد ان يرجع حالها الى احد امرين اما الاهلاك واما التعذيب وقيل المراد من قوله وان من قرية قرى الكفار ولا بد ان يكون عاقبتها احد الامرين اما الاستيصال بالكلية وهو المراد من الاهلاك واما العذاب الشديد من قتل كبرائهم وتسليط المسلمين عليهم بالسبي واغتنام الاموال واخذ الجزية فيصير الذي كلها في حكم اهل الاسلام على ما قال بعض اهل التفسير في قوله تعالى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قالوا هو ان يهلك اهل الكفر فيجعل ملك اهل الكفر لاهل الاسلام فذلك نقصانها من اطرافها لا يزال ينتقص ارض الكفر قرية وبلدة بلدة حتى الارض كلها لاهل الاسلام وهو ما روي عن النبي صلعم انه قال زويت الارض

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)